

كائنات من طرب 1 / 2

تتوقف شفرة النص الروائي في الغالب على ما يسمى بالإطار العام للحكاية، فمن خلاله ينشأ العقد الضمني بين القارئ والكاتب، ومن خلاله أيضاً تتأسس الأبنية الرئيسة للعمل بدءاً من اللغة وانتهاءً بالحبكة والموتيفات الصغيرة التي يصنعها الكاتب بخبرته وقدراته الفنية لملء الفضاء النصي للعمل، ومن ثم فكثيراً ما يجتهد الكاتب قبل الشروع في الكتابة للبحث عن الإطار المناسب الذي سيقدم من خلاله رسالته ليمد جسراً تعبر من خلاله رؤيته إلى القارئ بهدوء دون عوائق، ولعل أشهر الأطر التي عرفها تاريخ الفن الروائي هو الإطار البوليسي، حيث الجريمة التي تهيمن على مسار السرد، فينشغل بها الراوي محاولاً كشف مرتكبها - وهو دائماً مجهول - ، وفي لحظة الكشف يكون الراوي قد أنهى مهمة إعادة ترتيب العالم الذي سعى الكاتب إلى رصده ؛ ولأن هذا الإطار هو الأشهر فقد تعددت صيغته وطرائق اشتغاله، وربما استتر الراوي خلف إحدى الشخصيات ليتمكن من تتبع خيوط الحدث وكشف الحقيقة بشكل أو بآخر، حتى غدت هذه التوليفة الفنية وسيلة تلجأ إليها أشهر الروايات ، فهناك أعمال روائية مهمة اعتمدت على هذا الإطار البوليسي، ولعلنا نذكر من بينها (اسم الورد) لأمبروتو إيكو، و (العطر) للباترك زوسكيند، و (أجمل غريق في العالم) لجابرييل جارسيا ماركيز، وغيرها من الأعمال التي اتخذت الثيمة البوليسية إطاراً عاماً لبنيتها الفنية، وفي هذا الاتجاه جاءت رواية : (كائنات من طرب) للكاتبة أمل الفاران التي أصدرتها دار الآداب في بيروت، وهي تدور حول اختفاء شاب من أسرة تنتمي إلى ما يمكن تسميته بالطبقة الوسطى من المجتمع المحلي، وعلى الرغم من أن حادثة الاختفاء هي النقطة المركزية في السرد، إلا أنها لا تمثل الغاية الأولى للرواية، لكنها مفتاح مهم للدخول إلى سرد هادئ يقف عند الكثير من الإشكاليات التي عاشتها الأسرة السعودية الممتدة، تلك الأسرة التي تنتمي في تكوينها السكاني/ الديموغرافي إلى حقب زمنية آفلة - أو في سبيلها - وهي تكوينات لا تتوافق مع رؤية الحداثة وما بعد الحداثة، فعلماء الاجتماع يذهبون إلى أن الأسرة الممتدة التي يعيش فيها الجد والأبناء والأحفاد في

بيت واحد هي من سمات المجتمعات القبلية، تلك التي كانت تحتاج إلى التجاور والتقارب، وهذا يتناقض مع ما تريده مجتمعات الحداثة، حيث منطق قوة الآلة ، وتشابك علاقات اجتماعية جديدة، ونشأة قوانين وضعية تضبط علاقة تركيب سكاني غير متجانس، ومع سيادة هذا المناخ الحداثي وهيمنته أخذت الأشكال الاجتماعية القديمة كالقبيلة والعشيرة والأسرة الممتدة بالتفكك والانصياع لشروط القانون الجديد، الذي ظهر مع الدولة، وليس الجماعة/ القبيلة ، على أن حركة المجتمعات لا تسير بقرار يتصف بالسرعة والإلزام، ومن ثم فتحول كهذا يحتاج مساحة زمنية تمكنه من إتمام عملية تمثيله بشكل طبيعي، بل إنه يخلق صراعاً إنسانياً بين القديم والجديد، بين الحداثة وما قبل الحداثة، بين الدولة وقوانينها ، والقبيلة وأعرافها بين طموح الأبناء والأحفاد ومقاومة الآباء والأجداد؛ مما يجعلها على صعيد التمثيل الروائي واحدة من اللحظات المهمة، ويبدو أن هذا ما جذب انتباه الفاران فحاولت رصد من خلال أسرة تبحث عن ابنها المفقود، أسرة انصاع أفرادها بدرجة أو بأخرى إلى التوزيع الحداثي وشروط الانتقال والقانون الجديد، لكنها مازالت ترتبط بميراث ثقافي قبلي يرى الكل في واحد.

ويبرز لنا منذ السطور الأولى في النص أن الإطار البوليسي هو الذي شكل بنية الرواية حسب طبيعته التشويقية والتسويقية للوصول إلى الحقيقة أو النهاية، لذا فقد جاءت الفصول على هيئة مقاطع أو مشاهد، كل منها مخصص لبؤرة من موتيفات العمل، فواحدة منها تخص أهل (عامر) وتفاصيل حياتهم، وما تلبث أن تتجزأ إلى بؤر أو موتيفات أخرى حسب تصاعد أدوار أفراد العائلة، وأخرى تخص بيت أهل الزوجة (نورة) وبدورها تتفرع إلى بؤر جديدة، وثالثة تخص الشرطة حيث النقيب والرقيب، ورابعة عن المخبر الخاص (طارق) الذي يتأخر ظهوره حتى الثلث الثاني من العمل، لكنه البؤرة الرئيس بحكم طبيعة عمله المتوافقة مع البنية الرئيسية للنص، ومن ثم تعتمد الفاران تقنية "الكولاج" أو "القطع والوصل" مع كل هذه البؤر والخيوط، مما يجعل القارئ في حالة انتباه وتوتر دائمين لملاحقة الأحداث.

وكعادة الأعمال ذات الإطار البوليسي جاءت رواية الفاران لتغطي مساحة صراع متسعة، صراع على مستوى الأسرة من الداخل، وعلى مستوى الأصدقاء، وعلى مستوى العلاقات الزوجية من خلال نورة التي أصرت على الانفصال عن زوجها حتى بعد غيابه بينما أصر أهلها على زواجها من الشيخ سعد الهادي الذي يكبرها بكثير لكنه يتمتع بالثراء الوفير، وهو عم صديقتها الوحيدة، ويمكن اعتبار مفتاح النص موزع بين شخصيتين الأولى: تتمثل في عامر الذي اختفى في ظروف غامضة، وعاش حياة لاهية وغريبة تتوازى مع حالة الشذوذ التي أصابته بمعرفة صديقه طارق، وكان هذا الصديق بمثابة عامل محفز لفشل زواجه فقرر أن يقيم علاقات نسائية كثيرة لكنها سطحية لا تزيد عن المحادثة والملاطفة، أما المفتاح الثاني: فيتمثل في المخبر الذي قرر محمد - الأخ غير الشقيق لعامر - الاستعانة به للبحث عنه، وإذا كان عامر هو المحرك الأساسي للصراع القديم بين أفراد الأسرة بعد زواج أبيه من امرأة أخرى، فإن مهدي القطب الثاني الذي تنهض عليه مهام كشف الغرفة السرية المغلقة من قبل جميع أفراد الأسرة، فعامر شخصية شاذة على المستوى الطبيعي والخلقي؛ ولذلك توافرت أسباب كثيرة لفشله ربما يكون في مقدمتها ذلك العطب الفادح في شخصيته، فقد كان له رفقاء سوء (محمد وعائض) ومارس الثلاثة أعمالاً لم يفصح سياق السرد عنها، وإن بدت مشبوهة تتسم بالسرية أقرب إلى تهريب المخدرات، كما كان له أيضاً صديقة متزوجة تعمل معلمة تعرفت عليه حين استشعرت بعض الفتور في علاقتها الزوجية، لكنها أنهت هذه العلاقة قبل اختفائه، لكن مهدي الذي جدد شريحة جوال عامر يتصل بها ويخرج لنا الأسرار ويتتبع الطرق المؤدية على معرفة أقرب إلى اليقين عن قاتل عامر.